«غزة والاضطهاد السياسي في إسرائيل»، أيمن عودة، عضو الكنيست، 13.7.2025

المقدمة

اليوم في «عيون على غزة» نستضيف عضو الكنيست أيمن عودة — للتعبير عن التضامن معه في ضوء الهجمات السياسية التي يواجهها حاليًا، وللنقاش حول الصلة بين الاضطهاد السياسي للفلسطينيين المواطنين في إسرائيل وبين حرب الإبادة في غزة. سيتحدث عودة لمدة ثماني دقائق تقريبًا، وبعد ذلك سنترك وقتًا لمناقشة قصيرة. المشاركون مدعوون لتقديم أسئلتهم في الدردشة، والتي ستُقرأ له بعد مداخلته.

المحاضرة

شكرًا لكم. بما أن لدي فقط ثماني دقائق، سأتحدث بسرعة. نحن جزء من الشعب الفلسطيني، وبمعنى معيّن، أيضًا جزء من القضية الفلسطينية. إذا سألتَ أي مواطن عربي في هذا البلد: ما هي أفضل فترة منذ 1948، فإن تسعين بالمئة سيجيبون: من 1992 حتى 1995. وإذا سألتَهم: ما هي أسوأ فترة، سيقولون: من 7 أكتوبر حتى اليوم، وبشكل قاطع، أكثر من 90 بالمئة. إذا كانت أوسلو هي التي عرّفت تلك الفترة الأفضل، فإنها تنتمي إلى القضية الفلسطينية. وإذا كان 7 أكتوبر والحرب على غزة يعرّفان هذه الفترة الأشد ظلامًا، فهذا أيضًا جزء من السؤال الفلسطيني. نحن مرتبطون به ارتباطًا لا ينفصم — وهذا واضح.

لكن في الإعلام الإسرائيلي، يُطلب منا ألّا نتحدث عن القضية الفلسطينية. لكن اسمحوا لي أن أسألكم: في خمسين سنة، هل سمعتم مرةً صحفيًا يهوديًا يسأل سياسيًا يهوديًا: «لماذا تتحدث عن القضية الفلسطينية؟ لماذا لا تتعامل مع المشاكل الداخلية بدلًا من غزة والضفة الغربية؟» هذا السؤال يُطرح فقط على المواطنين العرب. لماذا؟ لأن النظام يريد أن يشكّلنا كـ «عرب إسرائيليين». بالمناسبة، هل سمعتم يومًا عبارة «يهود إسرائيليون»؟ هناك يهود في العالم، فلماذا لا توجد هذه الفئة؟ لماذا فقط «عرب إسرائيليون»؟ هذا البناء يسعى إلى فصلنا عن هويتنا الفلسطينية، لتقليصنا قوميًّا وإنكار مكانتنا المدنية الكاملة. إذا لم تكن يهوديًا، لا يمكنك أن تطمح لأن تكون مواطنًا كاملًا في الدولة اليهودية. وهكذا، فـ «العربي الإسرائيلي» مُصمَّم ليكون ناقصًا — وطنيًا ومدنيًا. ما نريده نحن مختلف: أن نكون 100% جزءًا من الشعب الفلسطيني، و100% مواطنين في دولة ديمقراطية. هذه هي معادلتنا. وبين معادلتنا ومعادلة المؤسسة، سيكون هناك دائمًا توتر عميق.

فيما يخص غزة، شهد المواطنون العرب في إسرائيل أشياء مروعة. رأينا فظائع 7 أكتوبر: قتل الأبرياء، أشخاص يرقصون في حفلة، أناس ينامون في بيوتهم. لا تبرر أي من جرائم الاحتلال قتل إنسان بريء واحد. ولا تبرر أي من جرائم 7 أكتوبر قتل طفل فلسطيني واحد. ومع ذلك، يعيش المواطنون العرب تحت هيمنة قاسية تسعى لإقناعنا بأن حياة اليهودي أثمن من حياة الفلسطيني. تخيّل طبيبًا عربيًا يجلس في استراحة مستشفى. يصف زميله اليهودي المعاناة الرهيبة لليهود — وهذا حق، فالمعاناة يجب أن تُعترَف. لكن إذا قرر الطبيب العربي أن يتحدث عن الفظائع ضد الفلسطينيين وقال له زميله اليهودي ألّا يقارن، فإن الطبيب العربي في أغلب الأحيان يلوذ بالصمت. لكنني أؤمن أن لا أحد منا يجب أن يقبل بهذا الصمت.

ما تراه أمي على التلفاز — أنا لا أشاهد بنفسي — لا أعرف حقًّا كيف تبقى عاقلة. ومع ذلك، لدي نوع من التفاؤل المدمج. لماذا؟ لأن التاريخ يُظهر أن الأمور يمكن أن تتغير. انظروا إلى نيويورك بعد 11 سبتمبر، كيف عومل المسلمون. بعد بضع سنوات فقط، انتخب الديمقراطيون زهران ممداني، وهو مسلم، كممثل لهم. في عالم اليوم المليء بوسائل التواصل الاجتماعي، يمكن أن يأتي التغيير أسرع. انظروا إلى النمسا في 1945، بعد النازيين الملعونين. بعد خمس عشرة سنة فقط، انتخبوا برونو كرايسكي، وهو يهودي، مستشارًا — ثلاث مرات. أو خذوا مقاتلي المقاومة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية: تخيّلوا أحدهم يقول للآخر إنه بعد سبع سنوات سيبنون سوقًا أوروبية مشتركة مع ألمانيا. كنت ستظن أنه يحتاج طبيبًا نفسيًا — ومع ذلك، حدث ذلك.

في إسرائيل أيضًا، حدثت أشياء كان يُظن أنها مستحيلة. حتى 1992، لم يكن هناك قائد مكروه من العرب أكثر من إسحاق رابين. كان صقر الحزب المهيمن، شخصية أمنية متشددة مسؤولة عن مجزرة الرملة، وعن احتلال القدس الشرقية، وعن كسر العظام خلال الانتفاضة الأولى. لم يكن أحد في العالم ليتخيّل أنه بعد عامين فقط من 1991، سيصافح ياسر عرفات. لكنه حدث. ودعوني أقول كلمة لصالح الإسرائيليين. في 1999، بعد ثلاث سنوات من نتنياهو وثلاث سنوات من رابين، صوّت 57 بالمئة لإيهود باراك على قضية واحدة فقط: الاستمرار في أوسلو. لقد حدث. في 2006، صوّتت أغلبية كاسحة لأحزاب تدعم تسوية تاريخية، بينما حصل الليكود ونتنياهو على 12 مقعدًا فقط. في 2008، خلال المفاوضات بين أولمرت وأبو مازن حول القدس، لم أرَ احتجاجات في الشوارع. كان هناك فرق بين أوسلو ومحادثات أولمرت–أبو مازن: آنذاك، كان هناك سلام شعبي تقريبًا، وكان الناس يفرحون. أما أولمرت وأبو مازن، فقد كانوا مكروهين بالفعل. لكن المهم كان الوصول إلى تسوية.

أتذكر حيدر عبد الشافي، الذي قاد الوفد الفلسطيني إلى مؤتمر مدريد للسلام عام 1991 إلى جانب الأردني عبدالسلام المجالي. عندما عاد الدكتور عبد الشافي إلى غزة، انفجرت المدينة احتفالًا، وحملوه على أكتافهم. لماذا؟ لأن عملية السلام قد بدأت. هذه هي غزة. هذه هي غزة.